نســـيبة

للاستاذ ابراهيم مصطفى
المدرس بكلية الآداب

سيدة من بنى الخزرج من أهل يثرب ، ولم يكونوا إذ ذاك سموا أنصاراً ولا كان الرسول هاجر إليهم ، ولكن حديثه كان يملأ الجزيرة ودعوته تشغل العرب وقرآنه يبث بينهم ويتلى ، كما كانت الأشعار تنشد وتروى .

وكان أهل المدينة أشد عناية بهذه الدعوة وأحفى سؤالا عنها ، فهم أصهار قريش وشركاؤهم فى التجارة وحفظة طريقهم إلى الشام وبينهم اليهود أهل الكتاب ورواة المأثور ومجمع الأخبار

وجلست نسيبة فى مساء إلى زوجها وولدها يتحدثون فى أمر محمد وأنباء دعوته وما حدث من قرآنه ، وتلى تال (الر تلك آيات الكتاب الحكيم . أكان للناس عجباً أن أوحينا إلى رجل منهم أن أنذر الناس وبشر الذين آمنوا أن لهم قدم صدق عند ربهم ، قال الكافرون إن هذا لساحر مبين) وآيات أخرى من كتاب محمد . وعجبت نسيبة للكافرين أن ينكروا على رجل منهم أوحى إليه أن يهديهم وأن يبشرهم وينذرهم ، وتساءلت بهذا السحر المبين أين يكون ؟ وما هى إلا الدعوة الصالحة والحق الواضح والبيان الجميل . لشد ما ظلم الرسول قومه وبئسما افتروا عليه . واشتاق القوم أن يروا محمداً وأن يستمعوا إلى حديثه ويستزيدوا من قرآنه .

وما جاء ميقات الحج حتى كانت القافلة تسير من يثرب الى مكة فى نحو خمسمائة حاج أكثرهم الرجال وقل فيهم النساء ومن بينهم نسيبة . وها قد أدرك الركب مكة وتوافى إليها الحجيج من كل فج واستقرت القبائل فى منازلها والرسول يسعى إليهم يعرض عليهم دينه ويبين رسالته ويتلو قرآنه بل يعرض نفسه أيضاً ، لقد ضاق به المقام فى مكة ونبا وآذاه أهله فى نفسه وفيمن من آمن به ، وبالغوا فى الايذاء والتنكيل حتى عاد بينهم كالعانى الأسير أو أنكد . وما يبغى الرسول ؟ إنما يريد من العرب قوماً يسعونه حتى يؤدى رسالته ، ويحمونه حتى يبين حجته ، ثم يدعون من آمن لايمانه ومن كفر لكفره . وما من قبيلة رضيت هذا أو انشرحت له صدراً إلا جماعة من أهل يثرب واعدهم الرسول اذا انحدروا من منى أن يوافوه فى الشعب الأيمن بأسفل العقبة وأمرهم ألا ينبهوا نائماً ولا ينتظروا غائباً وأن يستخفوا من قريش ويحذروا عيونهم وأرصادهم ، وما وافى الموعد حتى كان بين يدى الرسول سبعون منهم . بينهم نسيبة وسيدة أخرى عاهدهم وعاهدوه أن يسعوه بينهم وأن يحموه حمايتهم لأحدهم حتى يبين حجته ويبلغ رسالته . وراحوا بعهدهم يخفون من قريش ومن الناس أن يعلموه ، وعادت نسيبة إلى بلدها سعيدة بإيمانها فخورة بعهدها ، وقدرت ما يكلفها هذا العهد نفسها على الرمى بالنبل والضرب بالسيف وأعدت لهذا الجهاد ولديها حبيباً وعبد الله .

ودار الزمن وفر الرسول من مكة وهاجر الى المدينة وتلقاه الانصار بالنشيد والترحيب ، ثم نشبت الحرب بين الرسول وبين المشركين من قريش فى يوم « بدر » ، وشهدها المهاجرون الأولون والأنصار السابقون ونسيبة منهم تسقى من استسقى وتضمد الجرح لمن جرح ، وتشهد غلبة الحق لأول يوم انتصر فيه . وعظم هذا اليوم على المشركين وهم الأكثرون فأعدوا عدتهم وحشدوا للرسول فى « أحد » ، وشهدته نسيبة أيضا ومعها زوجها وولداها فى يمينها السقاء والضماد ، واستعرت الحرب وغلب المسلمون ثم نالتهم هزيمة ، فما ارتاعت نسيبة الا لجموع من المشركين تقصد إلى محمد تريد أن تحيط به وتكاد أن تبلغه والمسلمون عنه فى ناحية مثقلون بالهزيمة ، فألقت السقاء والضماد وسددت بالسهم ورمت عن الرسول بالنبل ، حتى التحم به المشركون فشرعت السيف وجالدت القوم حتى جرحت وخارت وارتمت على الأرض مصروعة . وثبت الرسول وهزم عنه المشركون وانجلى من الغمرة بما انجلى وتساءلوا بنسيبة فاذا هى ملقاة يفور دمها من جرح غار بكتفيها . ضمدوا الجرح وسقوها الماء فما تنبهت حتى سألت : وأين الرسول ؟ وماصنع المشركون معه ؟ إنه لناج وانه منك لقريب . وجرحك الغائر ودمك السائل وقوتك الموهنة وولداك الناشئان وبعلك الشيخ - كل أولئك منك دون محمد ! ؟ أجل دون محمد ودون رسالة محمد ، لها خرجنا ومن أجلها قاتلنا ، ولها نحيا ، وفى سبيلها نموت . وبرئت نسيبة ونسيت الفخر إلا بهذا اليوم ، وبالأثر الباقى من ذلك الجرح . (روى ابن هشام عن أم سعد قالت : دخلت على نسيبة أم عمارة فقلت لها : ياخالة أخبرينى ؛ فقالت : خرجت يوم أحد ومعى وعاء فيه ماء فانتهينا الى رسول الله

وهو فى أصحابه ، والدولة والريح للمسلمين ، فلما انهزم المسلمون انحزت الى رسول الله فكنت أباشر القتال وأذب عنه بالسيف وأرمى عن القوس حتى خلصت الجراح الىّ ، وأرت على عاتقها جرحا أجوف له غور »

وقد أحسنت السيدة نسيبة تربية ولديها حبيب وعبد الله وملأت قلبيهما إيماناً وصدرهما شجاعة وسواعدهما قوة ، وعرف رسول الله فضلهما وقدرهما ، وأحضرهما المشاهد وجعلهما سفراء ورسلا إلى من شاء من رجال العرب ورؤوس القبائل ، أرسل عبد الله إلى اليمن مع معاذ ، وأرسل حبيبا إلى مسيلمة الجبار البطاش المتنبئ كذبا فى قومه بنى حنيفة وهم من أكثر العرب عدداً وأغناهم وأقواهم بأساً . أتدرى ما صنع الكذاب بحبيب ؟ لايملك القلم أن يقصه عليك ، وبأشق الجهد أن يرويه لك ، فى الجزء الأول من أسد الغابة فى ترجمة حبيب ، أن رسول الله أرسله إلى مسيلمة الكذاب الخنى صاحب اليمامة فكان مسيلمة إذا قال تشهد أن محمدا رسول قال نعم ، فاذا قال تشهد أنى رسول الله قال لا أسمع ، فيقطع منه عضواً ، ففعل ذلك مراراً وقطعه مسيلمة عضواً عضواً ، اه

وقبض المصطفى عليه الصلاة والسلام لأجله ، وزلزل المسلمون لموته وارتدت من العرب أحياء وجموع ، وكان مسيلمة أشد الخصوم لدا وأقواهم كيداً وأكثرهم مالا وعدداً ، كاثر بقومه بنى حنيفة واعتصم بحصونه فى « اليمامة » وصمد إليه خالد بن الوليد بجيش فيه السيدة نسيبة وولدها عبد الله ، واستعصى أمر مسيلمة وكاد يهزم المسلمون ، ثم تجمع نفر من المستبسلين ، رموا بأنفسهم مسيلمة لا يبالون إلا أن يبلغوا إليه وينالوا نفسه ، وفى هذا النفر نسيبة وولدها عبدالله ، أما نسيبة فجالدت بالسيف حتى بتر ذراعها ، وأما عبد عبد الله فصمد وألح فى الهجوم على مسيلمة مستقتلا مستبسلا حتى أدركه وأغمده السيف . مات مسيلمة فماتت الفتنة بموته وتم أمر بنى حنيفة مع ابن الوليد صلحاً ؛ وعادت نسيبة إلى بلدها بساعد واحد وولد واحد ، وهى بما مضى أسعد منها بما بقى . كل إلى فناء ، وإنما الفوز والمجد أن يكون فى سبيل الحق ذهاب ماذهب منك

ونسى التاريخ نسيبة وأغمض العين عن بقية أيامها وضن أن يحدثنا بما نحب من ختام جهادها ومواطن مثواها . إلا أن مثواها الجنة ، وإن ذكرها فى الطيبات لخالد .

ابراهيم مصطفى

من مواقف العروبة

للأستاذ محمد سعيد العريان

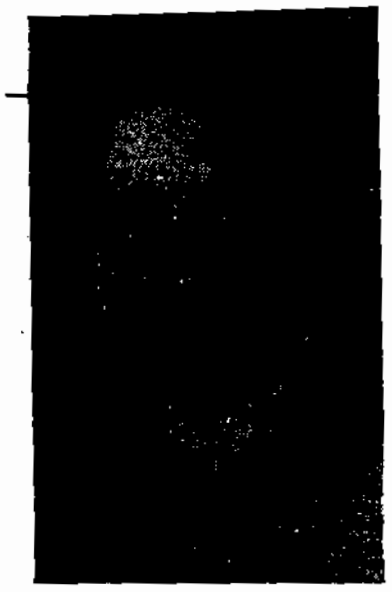

مَن ذلك الفتى الشجاع ، يختال فى العزم والقوة ، والشباب والفتوة ، حاسرا عن ذراعه ، متقدما على صحابته ، قد فرَعهم طولا ، وبهرهم تماما وحسنا ... ؟

قال أصحاب محمد : « ذلك قُرْمان المدنى ، ما نعرف فى أصحابه من يفوقه شهامة ورجولة ؛ إنه ليعين الضعيف ، وينتصر للمظلوم ، ويسرع إلى الصريخ ؛ لا تنى به عزيمته عن أمر يقصد إليه ؛ وما تعرف المدينة فى فتيانها أغْيَرَ منه على حماه ، وأبرّ منه لأهله ... ! »

قال محمد : « إنه لمن أهل النار ... ! »

واستمع المسلمون لرأى النبى فى الفتى الذى اجتمعوا على الإعجاب به والتمدّح بخلاله ، فما راجعوه الرأى ولا ناقشوه العبارة ؛ إنهم ليؤمنون بالنبى إيمانهم بكلمة الله ؛ وإنهم ليعرفون محمدا أصدقَ نظراً وأنفذ بصيرة فما تخفى عليه من أصحابه خافية . إنه ليكاد ينفذ إلى سرائرهم جميعا بعينيه الثاقبتين ، فيعرف ما تجيش به نفس كل رجل منهم . وإنهم ليعيشون من هذه المدينة فى جو من الحذر والتربص ، بين المنافقين من أتباع عبد الله ابن أبى بن سلول ، وبين اليهود من بنى قريظة والنضير ؛ فما يستوى الرأى فى واحد بينهم إلا حسبوه عينا وريئة من عيون المنافقين واليهود ؛ فمن يكون « قرمان » بين هؤلاء وأولئك ؟ وهل يدرى أحد ممن هو وإلى من ينتسب ؟ إنه لرجل يعيش فى المدينة كما يعيش أهل المدينة جميعا ، ولكن أحدا منهم لا يعرف عنه أكثر مما يرى منه ...

* * *